

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا
الْبُرْجَانَ

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا
الْبُرْجَانَ

‘ ١٥٩ - أسير الغدائر ’

ما أصبح إنسان أسير الغدائر السوداء
وما أصبح كذلك أسير عصيان الذوائب السوداء
يبدو مشتت الفكر مضطرب الحال مثل الضفائر السوداء
كل من يكون فى انتظار الخصائل السوداء
متى يكون الهدوء والاستقرار فى عالم الحشر
فمن كان كذلك كيف له أن يطلب الهدوء مع الغدائر السوداء؟
إلى الوقت الذى لا يظهر فيه صباح يوم حشره
لن يتمكن النهار من الظهور من ليلة خيط الضفائر السوداء
غير أن يتم إيقاد شمعة وجه أبيض منير فوقها
وإلا فلا توجد أنوار أخرى لإنارة الذوائب السوداء
يشتت عش خاطر العاشق خيطا خيطا
حين يتحول إلى حلق كل خيط من خيوط الضفائر السوداء
إذا كان العالم كله قد وقع مشبوكا فى مصيدته
فمن أين لأحد أن ينكر تأثير^(١) الغدائر السوداء؟
من أية شبكة يمكننى إخراج رأسى؟
حيث توجد بالآلاف شبكات قنص الخصائل السوداء

(١) تأثير: أضفت هذه الكلمة للتوضيح والسياق يدل عليها.

إنه قد سلك فى كل خيط مقداراً من القلوب
بـحيث أصبحت حبات السبحة فى زنار الذوائب السوداء^(١)
يقوم بتكسير العصاف فوق ناصية المحتسب^(٢)
حين يأتى إليه من بيده سوط (درة) الضفائر السوداء
سيطر على كل بلاد الهند والحيشة
حين ظهر فى الوجود ملك الضفائر السوداء
يسير دائراً حول الكنوز كالأقاعى
ولا ينشأ من ذلك خوف فى قلب الغدائر السوداء
إن كانت الثعابين الأخرى تلسع بالأيدى أو بالأرجل
فإن القلب يتعرض للعض بقم ثعبان الذوائب السوداء
يتناثر من قلم عبد الرحمن المسك والعنبر
حين بدأ ينشد شعر الضفائر السوداء

“ ١٨٥٣ ”

(١) فى ترجمة هذه الشطرة قليل من التصرف.

(٢) المحتسب : منصب دينى فى أفغانستان يتولاه أحد علماء الدين للإشراف على أمور الدين، والقيام بمهمة الإرشاد الدينى بين أفراد الشعب الأفغانى. وهو مأخوذ من منصب الحسينية فى الدول الإسلامية الذى كان يتولاه رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب.

' ١٦٠ - دموع بلا حساب '

إن دموع عيني بلا حساب
أصبح سيل عيني بلا حساب
كل سواد عيني أصبح بيضا
هكذا أصبح كتاب عيني مغسولا
احمرار عيني وبياضها وسرادها
قد ذهبت الدموع به وبكل أسباب عيني
حين اختفى جبين ذلك الحبيب عن عيني
فإنه قد فسد رونق عيني وشعاعها
إن لم يتم الذوبان بهذه الدموع الساخنة
فإن حباب عيني ليس إلا حجرا
إن كان بقية الناس يعيشون بضياء الشمس
فإن وجه الحسان شمس حياة عيني
إنني وضعت السرج على فرس عيني الأبلق لخياله
فلا يضع قدمه في ركاب عيني
حين تم نقش شقائق الحبيب الحمراء في قلبي
فقد أصبحت دوامة عيني معدنا للياقوت
كما أن الوحوش تنفر وتهرب من بنى البشر
كذلك قد هرب النوم من عيني

أنا عبد الرحمن عندما فتحت عيني الحبيبي
فأصبح الآن الاجتباب من عيني من المستحيل

“ ١٨٦٣ ”

‘ ١٦١ - شد الأذن ’

بسبب شد أذني كل ساعة
ازرقت يد السماء حتى المرفقين
حل بي غم الفراق إلى حد
ليس في المقدور حسابه بالكتابة واللسان
العيون التي كانت نرجسا ولوزا أيضا
أصبحت بقتلي سيوفا حادة صارمة
الشفائف التي كانت أحلى من السكر
لم أعثر على فيض منها غير الشتائم
هذه الرموش والحواجب العوجاء
لا تقوم بشئ غير الضرب الأعوج
بالليل تحمر أظافره بدم العاشق
وفي الصباح يضع الحناء على المخالب
لست أفهم هل هذه يد من قتلني
أم خرج من الروضة غصن الورود الحمراء؟
لته! لم يبلغ موته في الدنيا هدفه
حيث أنه قد أسقط براعم الورود الجميلة

فقد أصبح مقيدا فى شبكة الغدائر السوداء
بحيث إنى فى حيرة من إطلاق سراح عبد الرحمن

“ ١٨٧٢ ”

‘ ١٦٢ - خمر ونار ’

حين قمت بطلاء شفائفك بلون الخمر
فقد أشعل ذلك النار فى منزل الخمارين
حين صنعت وأبدعت قوس الحواجب العوجاء
فلإلى متى ستقوم بالصيد فى حرم الغزلان؟
حين أطلقت اسم السلسلة على الغدائر
فقد عطرت بذلك أدمغة المجانين
حين بدا على جبينك غبار الخط^(١) وظهر
فارتفعت بذلك عباءة الدراويش المغيرين
إن السهام العوجاء تعود ثانية عن الهدف
فقد أذنتى أهدابك العوجاء وأضرتنى بذلك
إن الذين يقومون بالفصل بينى وبين الحبيب
أسقط الله الحجر على منزل هؤلاء المسيئين

(١) الخط: لمعرفة الغرض من الخط راجع ص ٢٦٩ هـ من هذا الكتاب

إن كان يقبل دعائي ورجائي عند الله
سأدعو الله ليطول أعمار فؤى الوجوه القمرية
"البيزوان" (١) الأحمر فوق الشفائف الحمراء يبدو جميلا
كحرف الجيم الجميل الذى كتبه الكتاب بالقلم
و "التيك" (٢) الذهبى يترجع على جبينك كأمر
و "الخال" (٣) الأخضر حارس يحرس السجين
إن عضديك الاثنتين سيفان مصريان شاهران
أفهمك بأنك ستقطع بهما رؤوس الضعفاء
من غمك يحترق قلب عبد الرحمن حسرة على نفسه
كما تحترق الشمعة مشتعلة على ضريح الشهداء

" ١٨٨٣ "

(١) البيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، وتسمى أيضا (بلاق) يتخذ غالبا من الذهب
ويعلق فى الحاجز الفاصل بين منخرى الأنف ويتدل على الشفة العليا. ويذكرها شعراء
الأفغانية كثيرا.

(٢) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، يكون من الذهب والفضة، ويذكرها الشعراء
غالبا مقرونا بالبيزوان، يقول شاعر أفغانى يجمع بين التيك والبيزوان والعقد القرنفلى:

إن تيكك ملسك، والبيزوان وزير ﷺ والعقد القرنفلى قائد يسير فى المقدمة

(٣) الخال: الشامة الخضراء بين حاجبي المرأة. راجع ص ٣٣٨ هـ ٣ من هذا الكتاب

‘ ١٦٣ - قتيك سيد الشهداء ‘

من تم حصده وقتله بسيف عينيك
فإنه دون شك سيد مجموعة الشهداء
إن وصالك^(١) لمقطوعى الرؤوس يا مفرح الفؤاد
حيث إن الجنة للموتى ولا يجدها الأحياء
إن ظل الجن يجب أن يكون على العاقل
لأن هذا المقام مقام المجانين^(٢) عراة الرؤوس
لا يتواجد نور الشمس داخل قصر مغطى
هذه السعادة قد حلت بأهل القلوات
يتساقط الدم من عينى بسبب أنه
منقوش ومرسوم فيه لون شفائفك
إن خالك^(٣) المسكى يبدو فوق الشفائف الحمراء جميلا
كالختم المضروب على مخزن الدر والمرجان

(١) الوصال: هو عند أهل التصوف أن يتصل سر الصوفى بالحق بحيث لا يرى سواه. راجع
ص ٣٥٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) المجانين: هم العشاق عند الصوفية، ولمعرفة معنى العشق راجع ص ١١٨ هـ ٣ من هذا
الكتاب.

(٣) الخال: الشامة، ولمعرفة المراد من الشامة والخال راجع ص ٣٣٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

إن كل شيء يا عبد الرحمن باستثناء الحبيب
كفر والحاد فى مذهب المجانين والعشاق

“ ١٨٩٠ ”

‘ ١٦٤ - التأمل والدرأویش ‘^(١)

لو نظر أحد إلى عمل الدراویش وفكر فيه
فسيرى بنفسه وقار ورزانة الدراویش
سيصل بهذا الطريق إلى الله ورسوله
من يسير ويسلك مسلك الدراویش
كل قول له سيكون مقبولا عند الله
من يقبل ويوافق على قول الدراویش
يصل إلى العرش بخطوة واحدة
لقد رأيت سير وسلوك الدراویش
لا يوجد فى العالم سوق رائحة
مثل رواج بضاعة سوق الدراویش
إن خلقا كثيرا يقوم بزيارته بعد الموت
حيث تنعقد سوق رائحة عند مزار الدراویش

(١) الدراویش: الفقراء، والفقير من الفقر، والفقر لغة نقيض الغنى، وفى الاصطلاح الصوفى:
ألا يكون لك، فإذا كان لك لا يكون لك حتى تؤثر... قال إبراهيم الخواص: الفقر رداء
الشرف، ولباس المسلمين، وجلباب الصالحين.

كل ملوك الدنيا ينامون هناك ويستقرون
كاستقرار التراب عند باب الدراويش
كل ربيع فى نظام الكون يعقبه خريف
لا خريف أبدا يعقب ربيع الدراويش
سينسى قطعاً أزاهير روضات الجنة
من يشاهد روضة أزهار الدراويش
إن الدراويش ترك متاع الدنيا إرضاء لله
فلتنزل مائة رحمة على أيام الدراويش
انظر إلى حال قارون^(١)، وتأمل ماذا حدث له؟
فأقبل متوجهاً، ولا تنكر ما من الفضل للدراويش
كل من أعرز فيه الدراويش سهام قوس غضبه
فقد أصاب، لأنه لا تخطيء رمية سهام الدراويش
وليكن كل ديوان عبد الرحمن فداء هذا الغزل
حيث تحدث فيه وبين سلوك الدراويش

“ ١٩٠٣ ”

(١) قارون: كان من أثرياء العبرانيين فى أيام موسى عليه السلام، وكف عن الأخذ بالتعاليم السماوية، وناصب موسى العداة السافر، فذهب الله بثروته الهائلة، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم أربع مرات، منها هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ سورة القصص ٧٦

١٦٥- بيزوان^(١) وغدائر^(٢)،

إن فص بيزوانك يبدو جميلا فوق الشفائف
وغدائر كسوداء سلسلة للعاشقين
تيكك^(٣) الأحمر أمير يجلس على خصلة^(٤) شعر الناصية
وخالك^(٥) الأخضر يعنى كأنه سجين
كلنا شفيتك أجمل من الياقوت الأحمر
أسنانك البيضاء قد فضحت اليرد الأبيض

(١) البيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، تصنع غالبا من الذهب، وتزين بالفص، وتعلق في الحاجز الفاصل بين المنخرين، وتبدل على الشفتين. راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) ديوان عبد الرحمن ١٢٦ طبعة كابل ١٣٥٦ هـ / ١٩٧٧ م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، ولا ديوانه مقدمة سيد رسول رسا.

(٣) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، وتصنع في الغالب من الذهب وتزين بالفصوص، التيك، والبيزوان، والخال، وخصلة شعر الناصية، والعقد القرنفلى من الحلى التي يتردد ذكرها في الشعر الأفغانى بكثرة. راجع ص ٤٢٢ هـ ٢ من هذا الكتاب.

(٤) خصلة شعر الناصية: لا تغير الفتاة الأفغانية شكل هذه الخصلة إلا بعد الزواج. وبعده تقوم بتفريقها إلى مجموعتين يمينا وشمالا.

(٥) الخال: الشامة. راجع ص ٣٣٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

إن كلاً من خديك تفاحتان من سمرقند
وعلى صدرك نارنجان^(١) لعلاج العلولين
كلا ساقيك جعلتهما سيفين مصريين شاهرين
أفهم من ذلك بأنك ستقطع بهما رؤوس الضعاف
حواجبك السوداء المنحنية على الوجه تبدو جميلة
كحرف جيم وقد كتبه الخطاطون على الورق
إن ظل الكبر يجب أن يكون على العاقل
لأن المقام مقام المجانين عرارة الرؤوس
إن وصالك أيها الحبيب لمقطوعى الرؤوس
لأن دخول الجنة ليس للأحياء بل الجنة للموتى
تصادف أن قابل الجنون كلب حارة ليلى
فقام بتقبيله بعينيه الاثنتين مرات ومرات
كل ما هو موجود فى الكون يا عبد الرحمن باستثناء الحبيب
كفر والحاد فى مذهب المحبين والعشاق

“ ١٩١٣ ”

(١) نارنجان: النارج فاكهة شبيهة بالبرتقال، وشجرة النارج تشبه شجرة البرتقال أيضا.

‘ ١٦٦ - المفازة والراحلون ‘

مهما حاولت البحث فى المفازة والقرى
لم أجد أثرا أو خيرا عن هؤلاء الراجلين
إن الله وحده يعلم: أين ذهبوا وما هى أحوالهم؟
لست أدرى: إن كانوا قد سقطوا من فوق الصخر
ينفجر قلبى ألما وغما، إن كان يعلم بذلك أحد
يا ائتم وقد حفظكم الله: أخبرونى أنا أيضا
إلى أين ستذهبون بعد هذا، وما هو مكانكم؟
قولوا لى، يا من أتيتم إلى سراى الدنيا
لعل الله يرحمنى ويعفو عنى لوجهه الجميل
ارفعوا أيديكم إلى الله، أيها الأخيار
لا وجود لأخباركم أبدا فى أية جهة من الجهات
وإن بحثت عنهم بالراكبين والمشاة ليلا ونهارا
لا يتم السؤال والاستفسار عن الجهلة
إننى أخطبكم أئتم يا من تفهمون
لا أعلم ماذا تم وكتب فى حقى؟
أنا عبد الرحمن فى خوف من هؤلاء الحسان

“ ١٩٢١ ”